

برناردين إيفاريسـتو : صهـت متوتـر هـتل مـخمل هـتندود

ترجمة : محمد طهـي الـريـتـنـة

ولدت بيرناردين إيفاريسـتو (*Bernardine Evaristo*) في لندن سنة 1959 لأبوين نيجيري وبريطاني . تدربت كممثلة في مدرسة الفن المسرحي ، وغادرتها لتؤسس مسرح المرأة السوداء (1982-1989) ، ثم عملت ممثلة وكاتبة مسرحيات ومعلمة خصوصية للفن المسرحي وكتابته ومديرة مسرح . دورها العملي الأول قدمته في المجمع الملكي البريطاني سنة 1982 .

في فترة قريبة ، تغيرت نظرتها من المسرح إلى كتابة الشعر ، وظهرت بعض أعمالها في المختارات الشعرية والصحف . صدرت لها المجموعات الشعرية التالية : «تخطيط الرحلة (*Charting the Journey*) (1988)» ، « شغف *Passion* (1990)» ، «صدى *Echo* (1991)» ، «ضلع احتياط *Spare Rib*» ، و«جزيرة إبراهيم *Island of Abraham* (1994)» .

تكتب إيفاريسـتو كامرأة بريطانية سوداء ، امتدت رؤيتها لتعانق العالم المجهول أوروبياً أو أسرياً - طائفياً . احتفلت في أشعار غنية بالخيال وعميقة باللغة ، بمن يقاومون العزلة ويثرون الحياة ، وفي قلب مجموعتها «جزيرة إبراهيم *Island of Abraham* (1994)» ، التي ترجمنا منها هنا بعض القصائد ، يوجد هامش لشعرها الذي يكشف قيمة الحياة من خلال خبرتها التي اكتسبتها من رحلتها إلى جزيرة مدغشقر ، وبأمانة فإن إيفاريسـتو خلقت لتحرك الإيقاعات الشخصية للشعور ، لكلا المقيم والغريب ؛ الشعور المتعلق بامرأة سوداء في دولة إفريقية .

أبي ، يا أبي

أرتدي غموضك مثل قُبعة شَفِيفَةٍ
فوق أكتافي ، أأخزن أسراركَ
بإيماءة صامته خلفي
مثلما أسيرُ بحركةٍ إلى الأمام .

لا أستطيعُ أن أسبرَ أعماقَ عَيْنِكَ

أغنية حزن إسبانية

أنا غير فطنة للونه ،
ذلك المراهق حلف السيارة
الذي يعرف الإسبانية جيداً
من أجل هدفه في الحياة .
«واحد بيبة»
من تكلم هذا هو القروي الأندلسي
أليست بالتأكيد رقصة Disco ، أليست كذلك ؟
الذي يعتقد أنه في أمان لأنه
ذكر ، أبيض وشاب .
لا أحد قال له أي اختلاف أبداً .
(أو إن انتشار عدم المساواة من أجل الاختلاف)
لقد تسلقنا سفح غرناطة الشاهق
ذا الشوارع غير المستوية المرصوفة بالحصى
إلى أن وصلنا قمة التل .
أنظر إلى ملايين الأضواء الذهبية .
لقد فرشت المدينة قبلنا
مثل وسادة مرصعة مغربية .
أنا أنظرُ عالياً نحو [قصر] الحمراء ،
ثم أعودُ إلى التباهي الثمين
على قلدي .
أشعل الولد لفافة تبغ
أزاحت الهواء النقي بعيداً .
أشرب من النافورة
سألته : ما هو طموحك ؟
أجاب بأنه يريد أن يصح غنياً جداً
مثل سلطان بروناي مع
قصر بألف عرفة .
أنا أريد كثيراً ، أكثر من ذلك
(لم أقل له هذا) ،

فهما لا تزالان على مسافة مستحيلة ،
ولم يزل خط الصدمة يتجه إلى الأسفل من كلا

جانبي

مربع فكك النائي .
بماذا تؤمن ؟ من أجل من قاتلت ؟
ماذا تحب ؟ أنت تحمي مبادئك التي
تسطع دائماً للمناسبة مثل
جنود يؤدون التحية العسكرية
بطاعة مطلقة .

الآن في ميلاد عمرك الكبير ، غموضك
يدهشني . أسأل :

« من أنت ؟ »

مرة كبح العملاق المخيف للطفولة
ثورات المراهقة ، وحتى الآن -

رشيقي أنت ، يا أبي المحترم ؛ لم تزل قوياً
منذ أيام ملاكمتك
رغم مشيتك المحاربة البطيئة
نحو خطوة Elder المستغرق بالتفكير .

أسرارك الكثيرة تشبه اكتشاف
جواهر نادرة . إرثي من المبادئ ؛ صراع وقصة
غير محلولة العقدة مثل خيوط رقيقة
نسجتها حشرات سابحة في الفضاء .

أبي ، لا أستطيع أن أقرأ عينيك
ذات المقلتين البتيتين

مثل تاريخ Yoruba ، لكن
أستطيع دراسة خطوطك ،
تعويض السنوات الضائعة ،
والبحت في ماضيك بتحرر متأخر .

للعالم من أجل تغيير
عند دُولاً بها يقتل محوره .
لم أكنُ أماناً في أيِّ مكانٍ لكنني تعلمتُ
كي أبدأ الخوفَ مثلَ فاكهةٍ متعفنة .
إن يقينَ الشابِ منذُ مدَّةٍ طويلةٍ
تملصَ مني . ينمو زهوراً .

الناسُ - يتحركون داخلَ وخارجَ
مشهدِ سُورِيالي .
صمتٌ - متوترٌ مثلَ مخملٍ مشدود .

إلى حين - إيجاد توازنٍ ونفسٍ ،
أنا أيضاً ، ألتمسُ حالةَ الاستقرارِ .

المقهى الذي دخلناه مليءٌ بصُورٍ زيتيةٍ ؛
مُصارعِي ثيرانٍ ، عشاقُ رومانسيين ،
رجُلٌ يُعني بشيقٍ ،
وكذا يشربُ الجعةَ ،
قرْدٌ يقضمُ [بصوتٍ مسموعٍ] جوزاً ،
أدبٌ رجُلِ الحانةِ تعتربه ابتسامةٌ ساخرة .
طلبتُ مشروباً ، يتعجبُ [رجُلُ الحانةِ] من المكياجِ ،
أبتلعُ النارَ بسرعةٍ ، الآن .

بصبرٍ ، يوجهُ السائقُ السيارةَ
حوالَ الطريقِ الأخدوديِّ
لساعاتٍ .
سُكَّانُ الجزيرةِ
وقفوا بينما نحنُ نعبُرُ ،
وقفوا مثلَ ساعةٍ
تدورُ لترينا ممرناً ،

مثلَ مشهورينَ في صورةٍ [فوتوغرافيةٍ] قديمةٍ ؛
لونٌ بُنيٌّ داكنٌ ، بقاءٌ ، وصمتٌ .

جزيرة إبراهيم

[مقطع I]

مُضيئةٌ ، مدارجُ الطائرةِ
على تلكِ الأرضِ العذراءِ النادرة .

تلتمسُ قدمايَ السيرِ بثباتٍ
على الأرضِ الناعمةِ المنزلة .
أمشي الطريقَ
إلى سيَّارةِ الانتظارِ التي تُصدرُ طيناً .

هواءٌ - مُلبَّدٌ برائحةِ قوَّيةِ التأثيرِ
لدرجةِ التَّقزُّزِ . قصبُ السُّكَّرِ حلواً جداً .

أصواتٌ - إنسانٍ خافتةٍ بعيدةٍ ، تُشبهُ
أصواتَ أجراسِ الأوركسترا المُتنافرة .

أمسكتُ
بنسيجِ غرائبيِّ
لَعناكبٍ ضخمةٍ
تَغزلُ غوايتي ،
نباتاتٌ تَظَلُّ على البحرِ
وتخرمُ [مثلُ ثُقوبِ الدانتيلِ] الطريقَ ،
زخاتٌ من مطرٍ ساقطٍ
يرقصُ في الضوءِ ،
أشعةٌ دافئةٌ لشروقِ الشمسِ
مُبهرَةٌ للنظرِ على أحواضِ الماءِ ،
تبلغُ بيوتاً وأناساً
لآلافِ السَّنواتِ التي مرَّتْ
من وقتي .

حَتَّى أَنْفَاسِ التُّرْبَةِ
مُسْتَعْدَةٌ كِي تَعُودَ إِلَى الذَّاكِرَةِ .

هذه الأقدام صُنعت لـ . .

أقدامُ *Lola*

لِيَبْنِيَهُ كَالْمَاءِ

مُكُونَةً

مِثْلَ الخَشَبِ

مَشَتْ قَبْلِي

وَاثِقَةٌ فَوْقَ سَطْحٍ مُنْبَسَطٍ بِخَطَوَاتٍ وَاسِعَةٍ

فِي الوَحْلِ

فِي الأَعْلَى

صُخُورٌ

حِجَارَةٌ

غُصَّيْنَاتٌ

تُرْبَةٌ

حَوْلَ

خَنَادِقٍ .

أقدامُ *Lola*

فُرِشَتْ مِثْلَ سَحْلِيَّةٍ

بَيْنَ أَصَابِعِهَا غُشَاءٌ مِثْلَ بَطَّةٍ

ذَاتِ دَلَالٍ كَرَأْقَصَاتٍ .

لَمَسَتْ

وَلَمْ تَفْعَلْ

لَمَسَتْ

فِي النِّهَائِيَّةِ ، الجَدُولُ قَبْلَنَا ؛

مَسَحَ المُنْحَنِيَّ [الدَّرَامِيَّ] التَّمَثِيلِيَّ

لِلسَّاحِلِ اللَّيْمُونِيِّ وَالْفَيْرُوزِيِّ .

حُوصِرَ [السَّاحِلُ] بِجَبَلَيْنِ نَاعِسَيْنِ ،

وَحَمَّتَهُ نِصْفُ دَائِرَةٍ

مِنْ صُخُورٍ رَمَادِيَّةٍ رَسَمَتْ صُخُورًا مَرَجَانِيَّةً ،

زِينَتْ بِأَشْجَارِ جَوْزِ الهِنْدِ الشَّاهِقَةِ

الحُبْلَى بِشِمَارِهَا .

نَظَرْتُ خَارِجًا إِلَى الشَّمْسِ

الَّتِي تَنْزَلُقُ أَسْفَلَ الأُفُقِ ،

إِنِّهَا تَقْطَعُ رَمِيَّةَ صَفَاءِ

الأَشْعَةِ خِلَالَ غُيُومٍ تُشْبِهُ القُطْنَ النَّاعِمِ ،

تُطَلِّقُ سَهَامًا إِلَى الأَعْلَى ،

تَصْرَجَتْ بِالخُزَامِيِّ وَاللَّازُورْدِيِّ

فَأَضَاءَتْ البُرْتِقَالَ بِلَوْنِ فُرْمُزِيٍّ .

هَا أَنَا أُغَادِرُ

العَالَمَ الَّذِي أَعْرِفُ

وَأَدْخُلُ عَصْرًا آخَرَ .

ذهب أثري ووردة تحترق

[مقطع II]

ذَاكَرْتِي مُطَارِدَةً

عَبَّرَ حَدِيقَةَ مَزْرُوعَةٍ بِأَعْشَابٍ تُجَزُّ مِنْ حِينٍ لِآخَرَ ،

تُنْتَزِعُ بِقَبِيضَةِ رِيحٍ

وَتُقَدِّفُ خَلْفَ حَافَةِ

أَفْقِي .

يَكْنَسُهَا كُلُّهَا بَعِيدًا :

أُورَاقًا مَيْتَةً ، أَعْشَابًا صَارَةً ، أَشْوَاكًا ،

صُخُورًا صَغِيرَةً ، حِجَارَةً ، غُصَّيْنَاتٍ ،

تَتَقَلَّبُ صَفْحَاتٌ ، تَمُرُّ سَنَوَاتٌ ،
تَخْزَنُ يَوْمِيَّاتَكَ ، أَيُّهَا الْيَتِيمُ
الَّذِي يَنْمُو كِي يُعِيدَ بِنَاءَ خَطِّ السَّيْرِ
إِلَى طَرِيقِ الْحَجَرِ الصَّلْدِ الْمَسْحُوقِ .
سَاقَاكَ الْمُنْفَرَجَتَانِ تُصِرَّانِ عَلَى تَحْقِيقِ هَدَفِهِمَا ،
أَنْتِ تَحْمَلُ عِبَاءَ التَّمَرُّدِ
الَّذِي أُعِدَّ لَوْصُولِ الدَّبَابَاتِ
الْمُجَهَّزَةِ وَالْمُصَوَّبَةِ .

الأرض .
أَقْدَامُكَ ، يَا Lola
صُنِعَتْ لِلسَّيْرِ عَلَى تَضَارِيْسٍ خَشِنَةٍ
مُشْرَعَةً أَعْشَابًا جَانِبِيَّةً
فِي مَنَحْدَرَاتٍ جَبَلِيَّةٍ
إِلَى أَنْ

تَصْعَدَ الطَّرِيقُ .
شُعَاعُ الشَّمْسِ
يَمْسِكُ ضَوْءَ
ظَاهِرِ قَدَمِكَ
مِنْ قَبْلِ

أَنْتِ اخْتَفَيْتِ .
حَجَارَةٌ تَحْتَرِقُ
مُجَوِّهَاتِ النَّارِ
تُضْرَمُ نَحْوَ الْجُيُوبِ الْخَلْفِيَّةِ الْغَائِرَةِ
لَوْجَهكَ الْبَلِيغِ .
مِنْ خِلَالِ عَيْنَيْكَ
تَبْدُو طَرِيقٌ طَوِيلَةٌ مَعْجُونَةٌ
بَشَطَايَا حَادَّةٍ
لَحْزَنُ حَرْبٍ بِلَا أَمَلٍ ،
تَخْلُقُ يَتِيمًا فُرْعَا
تُرِكَ جَانِبًا
لِيُشَاهِدَ الدَّبَابَاتِ الْأَخِيرَةَ الْمُخْتَفِيَةَ ،
سَكَنَ لَابِلَانْدَا [شِمَالِ اسْكَندِنَاْفِيَا]
الَّتِي تَكُونُ سَدِيمًا مِنَ الْأَمْوَاجِ الْمُغْبِرَةِ ،
حَيْثُ تُتَلَاشَى دَمَدِمَاتٌ مُدْوِيَّةٌ كَالرَّعْدِ .

سَفَرُ الْأَعْجُوبَةِ الْآنَ
كُتِبَ بِاتِّجَاهِ عَيْنَيْكَ .